المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

اللغة العربية في الجزائر إبان الاستعمار
بين إدارة التغريب وإرادة التعريب

The Arabic language in Algeria during colonialism Between the management of Westernization and the will of Arabization

تجاني حبشي
جامعة زيان عاشور الجلفة – الجزائر
habchi jani@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/06/16 تاريخ القبول: 2022/06/27 تاريخ النشر: 2022/07/05

الملخص:

تتناول هذه الدراسة على امتداداها قضية من أهم القضايا التي ترتبط بمقومات الهوية الجزائرية، وهي اللغة العربية، وتصف الحالة البائسة التي عاشتها في فترة الاحتلال، وما تعرضت له من مضايقات واضطهادات جراء السياسة اللغوية التي انتهجتها فرنسا في تعاملها مع الجزائريين في المجال اللغوي والثقافي، تلك السياسة التي فرضت على اللغة العربية أن تعيش غريبة مهانة في بلدها، وبين أهلها، مقصاة عن الوظائف الحية التي تمارسها كل لغة وطنية في بيئتها، كما سعت هذه الورقة إلى تبين موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منها، الداعي إلى ضرورة التمسك باللغة العربية، وتعميم استعمالها بين أفراد الشعب الجزائري في مختلف المجالات، الأمر الذي من شأنه أن يرجعها إلى مجدها وقوتها.

كل ذلك بأسلوب مناسب يجمع مختلف الآراء بتوثيقها وتحليلها بما تيسر ذكره، وفــق قراءة وصفية تحليلية نسأل الله تعالى فيها التوفيق والسداد

الكلمات المفتاحية: السياسية اللغوية، الهوية، الإدماج، الفرنسة، التجنيس.

Abstract:

This research paper deals with its extension one of the most important issues related to the components of the Algerian identity, which is the Arabic language and describes the miserable situation in which it lived during the period of occupation, and the harassment and persecution it was subjected to as a result of the language policy pursued by France in its dealings with Algerians in the linguistic and cultural field.

The policy that imposed on the Arab woman to live strange and humiliated in her country, and among her people, excluded from the living functions that every national language exercises in its environment ,This paper also sought to clarify the position of the Association of Algerian Muslim Scholars towards it, which calls for the need to adhere to the Arabic language, and to generalize its use among the Algerian people in various fields, which would return it to its glory and strength. All this in an appropriate manner that brings together the various opinions by documenting and analyzing them in what is easy to mention, according to a descriptive and analytical reading, in which we ask God Almighty to grant success and payment.

Keywords: Linguistic politics, identity, integration, French, naturalization

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

مقدمة:

اللغة هي نسق من الإشارات والرموز وتشكل أداة من أدوات المعرفة، وتعتبر أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع، وبدونها يتعذر نشاط الناس المعرفي. وهي تمثل الوعاء الحاوي لثقافة الفرد والمجتمع، ووسيلة للتفكير الذي يحدد رؤيتنا للعالم، كما أنها جزء لا يتجزأ من هويتنا في الجماعة، فكل فرد في حاجة إلى الحفاظ على الهوية الخاصة به، فهوية الفرد هي امتداد لهوية جماعته، فهي الوسيلة الرئيسية إن لم تكن الوحيدة في تحقيق الحفاظ على تلك الهوية وامتدادها. وتعمل على إرساء روح الوحدة الوطنية بين أبناء الشعب الواحد،أو بين شعوب الأمة الواحدة، وتبث روح التعاون والتآخي، وتدفع إلى السير نحو التقدم والرقي الحضاري.

ومن هذا المنظور ينظر إليها بأنها الترسانة الثـــقافية التي تبني الأمة، وتحمي كيانها واللغة من الأمة أساس وحدتها، ومرآة حضارتها. ولم تكن اللغة أي لغة في يوم من الأيام مجرد أداة للتواصل بين أبنائها، أو بينهم وبين الآخر، ولم تكن مجرد وعـــاء فكـــري ثقافي سياسي اجتماعي أدبي محايد..،وإنما هي كل ذلك في صميم استمـــرار حيـــاة الأمة، وتجسيد روحها المميزة لها فاللغة خطاب متعدد الوظائف والأهـــــداف.[1] (جون جوزيف،2007، ص35)

واللغة العربية تمثل مقـــوم من أهم مقـــومات كياننا، فهي الحاملة لثـــقافـــتنا، والرابط الموحد بيننا والمكون لبنية تفكيرنا، والصلة بين أجيالنا، وحلقة الوصل التي تربط الماضي بالحاضر،كيف لا وهي التي تمتاز عن اللغات العالمية الحية في كونها تتوافـــر على خصيصة الديمومة والقدرة على الانتشار لأنها لغة القـــرآن الكريم. وإن ارتباطها به قد أمدها بالقوة والبقاء وهيأ لها أسباب النمو والشمول، ما يميزها عن غيرها من اللغات من النواحي اللغوية والدينية والفكرية والثقافية. فكانت هذه المنزلة الدينية ذات الأبعاد الإنسانية والعالمية من أسباب ترسيخ أركانها، وتقدير مكانتها، وهي إضافة إلى ذلك تعد من أفصح اللغات، وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزلَ أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

وتنبع أهمية اللغة العربية في أنها من أقوى الروابط والصلات بين المسلمين، ذلك أنها من أهم مقوّمات الوحدة بين المجتمعات. فهي لم تعد لغة خاصة بالعرب وحدهم، بل أضحت لغة عالمية يطلبها ملايين المسلمين كافة لارتباطها بدينهم وثقافتهم الإسلامية، وهي من هذا المنظور تمثل البؤرة الأساس التي يتمركز عليها نسيج الأمة الجزائرية، بل وينبني عليها، وأن تكوين الإنسان لا يحصل في استقلال عن اكتمال اللغة نسقيا، وهذا يدل على أن ثمة تفاعلا بين نظاميْن،أحدهما ثقافي اجتماعي والآخر رمزي لغوي، يرتبطان وفق علاقة طردية،إذ أن قوة اللغة من قوة الهوية،وضعفها من ضعفها، وعلى هذا الأساس؛ فإن ما يطرأ على اللغة من تغيرات وتحولات سلبا أو إيجابا ينعكس بشكل مباشر على هوية الناطقين بها، مثلما أن ما يعتري هوية جماعة ما من تشوه واختلال يظهر على مرآة هذه لغته. لذا فإن أي نزوع لحفظ الهوية وصيانتها دون أساس لغوي لن يتحقق مطلقا، وعليه فإن من أهم الأمور التي تتوجب على المثقف الجزائري اليوم تعزيز حضوره الفعال، وتثبيت هويته الخاصة به في ساحة المعترك الفكري الحقيقي الذي يعيشه العالم.

ولا شك أن المستعمر الفرنسي كان يدرك هذه الحقيقة، ويعي أهميتها، لذلك عمد إلى تحديد أهدافه وغاياته، فاحتلال الجزائر بالنسبة إلى فرنسا لا يعني احتلال الأرض والاستيلاء على الحكم فحسب، إنما الاحتلال الذي كانت تخطط له وتعد له العدة، وتبحث عن المسوغات التي تبرر بها فعلتها الشنيعة هو احتلال البيئة الجزائرية العقلية والنفسية بكاملها،أو قل هو الاحتلال الثقافي بأوسع معانيه، حتى ولو كان المدخل إليه هو الاحتلال العسكري والسياسي، فالهدف

المنشود هو بسط الهيمنة التامة على المجتمع بكامل عناصره ومؤسساته، بما فيها الأسرة والمدرسة والمسجد واللغة والثقافة والإدارة الخ. لأنها كانت تريد أن تمسخ مقومات البيئة الجزائرية،وتحولها إلى بيئة فرنسية لتصنع فيها ومنها وجودا فرنسيا ثقافة وأخلاقا، تريد أن تجعل الشعب الجزائري شعبا مغايرا لحقيقته، منسلخا عن شخصيته راضيا بالتبعية لغيره، قابلا للاندماج في الحياة الفرنسية، وغايتها من ذلك أن لا تتيح للفرد الجزائري أن ينمو وفق قدراته وحاجاته، ولهذا حرمته من نعمة التعلم، وفرضت عليهم حياة الجهل، ليبقى خاملا وجامدا ضيق الأفق.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

وتأتي هذه الدراسة لتكشف عن أهداف السياسة الفرنسية المنتهجة ضد اللغة العربية باعتبارها ركيزة الهوية الجزائرية من خلال مناقشة الإشكالية الآتية: يعدّ الاستعمار الفرنسي من أبشع أنواع الاستعمار في العصر الحديث، فاحتلال الجزائر لم يكن احتلال للأرض واستغلال للثروات فحسب، بل كان أعمق من ذلك بكثير، فقد تغيرت نمطية الاستعمار من الاحتلال التقليدي القائم على الاستلاب المادي إلى غزو فكري وقهر حضاري.يهدف إلى تدمير مقومات الهوية ككل، وفي مقدمتها اللغة العربية.

وانطلاقا من هذا الإشكال تم طرح التساؤلات الآتية:

1- ما مفهوم الهوية وطبيعة علاقتها باللغة.

2- ما موقف الاستعمار الفرنسي من اللغة العربية في الجزائر.

3- ما أهم مظاهر السياسة اللغوية الاستعمارية في الجزائر.

4-كيف أثرت السياسة الاستعمارية اللغوية على مقومات الهوية الجزائرية وبخاصة على اللغة العربية.؟

5-هل استطاع الشعب الجزائري الحفاظ على هويته الثقافية واللغوية، أم أنه اندمج في براثن السياسة اللغوية الاستعمارية.؟

6-ما موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من السياسة اللغوية الاستعمارية.؟

أما عن هدف الدراسة وأهميتها فتتبع من كونها تتناول قضية هامة، ألا وهي موقف الاستعمار الفرنسي من مقومات الهوية الوطنية، وبالخصوص من اللغة العربية، باعتبارها ركيزة الهوية الجزائرية، وكذا رد فعل جمعية العلماء المسلمين القوي من هذه السياسية.

وقد سارت الدراسة في عمومها على ضوء المنهجين الوصفي والتحليلي؛ حيث تجلى ذلك أثناء عرض علاقة اللغة بالهوية، وكذا موقف الاستعمار الفرنسي من مقومات الهوية الوطنية وبخاصة من اللغة العربية، وعند التعرض لموقف جمعية العلماء المسلمين من السياسية اللغوية الفرنسية في الجزائر إبان الاستعمار. وهذا التنوع جاء رغبة في استجلاء الصورة والإحاطة بأطراف الموضوع .

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

وانطلاقا مما أومأنا إليه سوف يتوزع البحث إلى مقدمة وخاتمة وبينهما ما يلي:

1-مفهوم الهوية

2-علاقة الهوية باللغة

3-موقف الاستعمار الفرنسي من اللغة العربية في الجزائر

4-السياسة اللغوية الاستعمارية للقضاء على اللغة العربية

4-1-مظاهر السياسة اللغوية الاستعمارية

5-موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من السياسة اللغوية الاستعمارية

1-مفهوم الهوية

يتحدد مفهوم الهوية بناء على الدلالة اللغوية والفلسفية، والسوسيولوجية والتاريخية للمصطلح ويُقابل مصطلح الهوية العربي كلمة(identity) (identité) في الفرنسية والانكليزية، وهو من أصل لاتيني، ويعني الشيء نفسه أو الشيء الذي هو ما هو عليه، أي الشيء له الطبعة نفسها التي للشيء الآخر، كما يعني هذا المصطلح في اللغة الفرنسية مجموع المواصفات التي تجعل من شخص ما هو عينه شخص معروف أو متعين.[2](وليد قصاب 2005،ص429)

والهوية عملية تمييز الفرد لنفسه وتحديد حالته الشخصية.[3](المرجع نفسه،الصفحة نفسها) ولا تخرج شخصية الفرد إلا من خلال الجماعة، فهي علاقة تطابق مع الذات عند شخص ما، أو جماعة اجتماعية ما في جميع الأزمنة، وجميع الأحوال، فهي تتعلق بكون شخص ما، أو جماعة ما قادرا أو قادرة على لاستمرار في أن تكون ذاتها،«ولكن مصطلح الهوية لا يكتفي بكل ما هو ذاتي فحسب بل يتجاوز عيشته وتشخصه، وخصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه إشراك».[4](بعلبكي،2014،ص24) وعرفها ماكس فيبر بأنها: «إحساس الجماعة بالأصل المشترك، وهي التعبيرات الخارجية الشائعة مثل الرموز والألحان والعادات، وتميز أصحاب هوية ما عن سائر الهويات الأخرى، وتظل هويتهم محتفظة بوجودها وحيويتها، مثل الأساطير والقيم والتراث الثقافي».[5](عبد الرؤف،2014، ص443) ويرى محمد الجابري أنه لا تكتمل الهوية الثقافية ولا تبرز خصوصيتها، ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة علي نشدان العالمية إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

تتطـــابق فيـــه ثلاثـــة عناصـــر الوطن والجغرافية والتاريخ الدولة التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة، والأمة النسب الروحي الـــذي تنســـجه الثقافـــة المشـــتركة.[6] (الجابري 1998، ص14) كمـــا أكد علـــى أن الهويـــة الثقافيـــة هـــي حجر الزاويـــة فـــي تكوين الأمم لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل، فلا يمكن تحقيق الوحدة الثقافية بمجرد قرار حتى لو توفرت الإرادة السياسية.[7](الجابري،1995،ص12)

ومن هنا يمكن القول؛ أن الهوية تنطوي على معان الرمزية والروحية والحضارية الجماعية تعطي الفرد إحساسا بالانتماء إلى الوطن الأم، وتخلق لديه الولاء والاعتزاز بكونه ينتمي إلى جماعة معينة، وأن يتركز سؤال الهوية على تأكيد مبادئ الوحدة في مقابل التعدد، والكثرة والاستمرار في مقابل التغير والتحول.[8](الجابري،1995،ص12)

2-علاقة الهوية باللغة

لا يمكن الحديث عن اللغة دون الحديث عن الهوية، لأن اللغة تحمل هموم متكلميها، وتنظم سلوكهم وتفاعلهم، وتوحد انتمائهم. فقيمة اللغة إذن ليست في طبيعتها ولا تقع في أساس مكوناتها الداخلية، إنما هي فكرة أو مفهوم أو صفة ميزها الناس بها وتفاهموا على الاعتراف بها، واعتبارها فيها دون سواها. وهي بالتالي تحليل رؤية هؤلاء الناس للواقع الذي يعيشونه وتعكس انطباعاتهم وتلقيهم للأحداث التي يمرون.[9](بسام،2002،ص86) وبيْن اللغة والهوية ترابط قوي، وتفاعل مستمر في السلوك الاجتماعي للناس، بحيث يؤثر كل منهما في الآخر قوة وضعفا، فإذا قويت الهوية قويت معها اللغة، وإذا ضعفت الهوية ضعفت اللغة، لأن اللغة هي على الدوام تعبير عن الهوية وانعكاس لها في الواقع. إن اللغة من حيث هي الأداة المثلى في قيام التواصل بين أفراد المجتمع، وتحقيق الاندماج داخله، تبقى الوسيلة الأساس لبناء الهوية وتحديدها، وهي الناطق بلسان الهوية، وما مِن حضارة إنسانية إلا ورافقتْها نهضة لغوية، وما مِن صراع بشري إلا ويخفي داخله صراعا لغويا. فالهوية إذن؛ هي نتاج المعاني والقيم التي يوجدها الأفراد عبر اللغة، والطابع الخاص لأي مجتمع هو نتيجة تفاعل ما يجري في نطاقه من خطابات لغوية.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

وعلى هذا الأساس؛ فإن كيان الأمة وهيئتها وسَمْتُها ليس إلا مجموع المبادئ المنتزعة من أثَر اللغة والدين، والعادات والرصيد الثقافي والميراث الحضاري. أما اللغة فهي ذات الحظ الأوفر في إبراز صورة وجود الأمة، بل إنه يمكن القول؛ أن اللغة هي وجود الأمة ذاته، وذلك يعني أن اللغة ليست أداة تواصل فقط، وإنما هي نسق مفتوح، يتأثر بما يحيط به، كونها منتجة للثقافة والحضارة وصانعة للهوية.ومن ثمّ فاللغة تجمع بين كونها ظاهرة اجتماعية ونتاجا للفكر،ووسيلة للتواصل، فهي أيضا قدرة تمكن من الإبداع وحمل المعرفة وإنتاجها، فاللغة وعاء للفكر والمعرفة فبها تستطيع الأمة أن تكون موجودة حضاريا مستقلة بذاتها، متميزة عن غيرها، تتحدد عناصر وجودها استنادا إلى وجودها داخل لغة.فكأن العلاقة بين اللغة وأهلها علاقة وجود وكينونة يتحقق الوجود الحضاري والثقافي بها، ويمتنع ببعدها، وعلى هذا الأساس فاللغة تبقى دائما عنوانا لوجود الأمة وهويتها، من حيث هي مستودع أمين يختزن مقومات الانتماء، وملامح الذات، ومقومات الثقافة لتحفظ أصحابها من الذوبان في الآخر، والانصهار في الغير أثناء التفاعل الثقافي والإنساني، وبالتالي تجنبهم الوقوع في الاستلاب الحضاري الذي ينبني أول ما ينبني عليه على الاستلاب اللغوي. ذلك أن ضعف اللغة ينعكس سلبا على الأمة ومن شأنه:

- أن يُضعفُ قدرةَ اللّغة على تحقيق التّفاهم بين المتعاملين بها، ويُعطِّل وظيفتها التواصلية، ذلك أن اللغة الضعيفة تتحلّلُ من قيود القواعد وتبتعد عن أصولها الثّابتة.

– أن يؤدي بالتدريج إلى ذوبان الشخصية وفَقْد الْهوِية،فضياع اللغة هو ضياع للأصالة والانتماء

– أن يترك فراغا فكريا وثقافيا لدى الأمة، ويضعف الصلة بتراثها وتاريخها وأمجادها السالفة مما يجعل منها لقمة صائغة لغيرها، فتكون بذلك مهيأةً للغزو الفكري، وهو غزو كما هو معلوم يجعل الأمة فاقدة للإرادة والكرامة.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

3-موقف الاستعمار الفرنسي من اللغة العربية في الجزائر

منذ البداية احتلال الجزائر اتجهت فرنسا إلى محاربة اللغة العربية بتشديد الحصار عليها ومنع تعليمها وتعلمها، واعتبارها لغة أجنبية يحرم التعامل بها قانونيا، وفرض اللغة الفرنسية بدلها، وإحلالها محلها في جميع المجالات، وهكذا بدأت محنة اللغة العربية التي ظلت تحمل مأساتها ومأساة أهلها، إذ لم يرفع الحصار المضروب عليها طوال فترة الاحتلال. فالمتتبع للجوانب السياسية والإدارية التي رافقت مسيرة محاربة اللغة العربية يتبين له أن فرنسا كانت تضع كل ثقلها لمحاربة الهوية الوطنية للجزائريين بكل أبعادها.

وبهذا أصبح واضحا لدى إدارة الاستعمار أن للغة والدين دورا بالغ الأهمية في حماية الشخصية وتماسك المجتمع، إذ هما اللذان يقفان ضد كل محاولة للنيل من كيان الشعب، أو فصله عن أصوله، وتذويبه في بيئة أخرى تضاد ثقافته، لذلك كان اهتمام الإدارة الفرنسية منصبا على هذا الجانب منذ البداية، لأنها المفاتيح التي إن استولت عليها وجدت المنفذ الذي منه تدخل إلى قلوب الجزائريين وعقولهم. فقد كان الحكام ينظرون إلى الغزو العسكري على أنه مجرد مدخل تنطلق منه المعارك الحقيقية التي يرون الانتصار فيها هو الانتصار الحق الذي تحركوا من أجله، وخططوا له، وهو محو شخصية الأمة، وتجريد أفرادها من كل شعور يربطهم بمقومات هذه الشخصية.

فالفرنسة لا تعني تغيير أداة الخطاب لدى الجزائريين من لغة عربية إلى لغة فرنسية، كما لا تعني التركيز على تعليمهم بالفرنسية وحدها، إنما تعني فرنسة الروح والفكر والشعور، بحيث يصبح إحساس الفرد المتعلم بعروبته وإسلامه ووطنه شبه منعدم، لأنه زُرع فيه إحساس آخر وتصبح الهوية بالنسبة إليه مجرد بطاقة تعريف تستخرج من مصالح الحالة المدنية، لا علاقة لها بالوطن أو اللغة أو الدين، ومن ثمّ فالانتماء الذي تكرسه الفرنسة هو الانتماء الثقافي واللغوي، فأية لغة يتقنها المرء ويتعاطف معها فهي جنسه وجنسيته، وأية ثقافة يتعاطاها بفكره ووجدانه فهي روحه وانتماؤه، ومن هنا يتضح أن لا فرق بين سياسة التجهيل وسياسة الفرنسة في مفهوم الاستعمار، لأن الغاية واحدة، وهي التهميش والإهمال، أو صناعة إنسان جزائري مطبوع بالطابع الفرنسي محتواه الوطني مشوّه.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

4-السياسة اللغوية الاستعمارية للقضاء على اللغة العربية

إن المتتبع لصيرورة السياسة اللغوية الاستعمارية في الجزائر، يتبين له أن فرنسا كانت تضع كل ثقلها لمحاربة الهوية الوطنية للجزائريين بكل أبعادها، فقد وضعت خطة مُحكمة لمحاربة اللغة العربية بشديد الحصار عليها، ومنع تعليمها وتعلّمها، وغلق المدارس، وتشريد المتعلمين وسجن المعلمين، وهدم المساجد، وتدجين الزوايا، وفرض اللغة الفرنسية فرضا في جميع المجالات وعلى كافة الأصعدة. وقد رسم حكام الاستعمار خريطة المعركة سعوا من خلالها إلى محاولة إضعاف الشعور العربي الإسلامي في نفوس الجزائريين، أو انتزاعه منهم بشتى الوسائل ليسهل تغيير مشاعرهم وقناعاتهم. وذلك عن طريق ضرب حصار محكم عليهم، وتشديد الرقابة على من يأتيها من البلدان العربية والإسلامية من علماء ودعاة ومفكرين، وتقييد حرية التنقل خارج الجزائر بما في ذلك الذهاب إلى الحج. ظنا منه أن هذه الإجراءات يمكنها أن تصرف الجزائريين عن التمسك بهويتهم وثقافتهم، وتُضعف إصرارهم على بقائهم منتمين إلى قوميتهم ولكن ذلك كله كان مجرد أحلام لم يتحقق منها شيء إذا استثنينا بعض الحالات الشاذة.

4-1- مظاهر السياسة اللغوية الاستعمارية

ارتكز تنفيذ هذه السياسة على أمرين:الأول متعلق بالجانب السياسي، والثاني متعلق بالجانب الإداري.

1- **الجانب السياسي:** وقد ترجمته المواقف الرسمية والقرارات والتعليمات الحكومية التي كانت تصدرها حكومة فرنسا من حين لآخر، بهدف وضع حد للحياة العملية التي كانت تحياها العربية في التعليم والإدارة ومرافق الدولة، وفي الوقت ذاته تلح هذه القرارات في توجيهاتها على تعميق الاهتمام باللغة الفرنسية، وتجنيد الوسائل لفرضها على الجزائريين.

2- **الجانب الإداري:** وقد تجلى في الإجراءات العملية التي كانت تنفذ في الميدان(في المدرسة وفي الإدارة، وفي المحيط الاقتصادي والتجاري والاجتماعي)، تلك الإجراءات التي كانت تكرس التعامل بالفرنسية وترفض غيرها، ومن كان لديه من

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

المواطنين مستندات محررة بالعربية يفرض عليه ترجمتها إلى الفرنسية وإلا رفضت، ويعني هذا أن العربية فرض عليها أن تصبح لغة أجنبية في وطنها الأم.

ويمكن أن نرصد هنا بعض القرارات والتعليمات التي فرضت هذا الوضع، ووجهت اهتمام المسؤولين في الإدارة الفرنسية لتجنيد الوسائل الكفيلة بفرض اللغة الفرنسية في مجالات التعامل الرسمي، وإرغام الجزائريين على قبول هذا الأمر والخضوع له، ومنها:

1- قرار صدر عام(1848) حول اللغة ورد فيه:(إن لغتنا هي اللغة الحاكمة، إن قضاءنا المدني والعقابي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته..، بهذه اللغة، وبهذه اللغة وحدها يجب أن تكتب جميع العقود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا..، وأن أهم ما ينبغي أن نعتني به هو السعي لجعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين، الذين عقدنا العزم على استمالهم، وإدماجهم فينا، وجعلهم فرنسيين).[10](بن نعمان،2002،ص86)

2- تعليمة موجهة إلى حاكم الجزائر غداة الاحتلال جاء فيها:« إن إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هنا لغة قومية، والعمل الجبار الذي يتوجب علينا إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي، بالتدريج إلى أن تقوم مقام اللغة العربية».[11](المرجع نفسه، ص83)

3- في عام(1904) صدر قانون يحرم على الجزائريين أن يفتحوا مدرسة عربية، أو كتّابا لتعلم القرآن الكريم، ما لم يحصلوا على ترخيص من إدارة العمالة، والترخيص لا ينال بسهولة، لأن هناك شروطا تعجيزية تفضي في النهاية إلى المنع.[12](المرجع نفسه، ص83)

4- ثم جاء قرارا-شوطان- وزير داخلية فرنسا في عام(1938) ليؤكد تطبيق القانون السابق الخاص بمنع فتح مدرسة لتعليم العربية، وقد شن الإمام عبد الحميد بن باديس حملة عنيفة على هذا القرار في الجرائد وفي الدروس.[13](المرجع نفسه، ص83).

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

5- قانون8 مارس1938، وهو المرسوم الذي أصدره رئيس مجلس وزراء فرنسا آنذاك، كاميي شوطون (Camille Chautemp) ، وقد نص على حظر استعمال وتعلم اللغة العربية، واعتبارها لغة أجنبية في الجزائر، وجعل اللغة الفرنسية هي اللغة الوحيدة في البلاد. يأتي هذا القانون ليكشف الوجه البغيض للاحتلال ، فكيف للغة يتكلم بها ستة ملايين مواطن، يمثلون80 من المئة من السكان أن تكون لغة أجنبية، لاشك أنه عمل ممنهج يندرج ضمن مخطط استراتيجي خطير مارسته سلطات الاحتلال لمحو الهوية الوطنية.

إن المتتبع للسياسة اللغوية الفرنسية في الجزائر ومواقفها من تعليم الجزائريين، يجد تيارات مختلفة، بعضها يرى ضرورة ترك الجزائريين جهلة، وبعضها يرى أنه لا بد من توفر نوع ملائم من التعليم بحسب الهدف الذي ترمي إليه سياسة الاستعمار. ولكن الحقيقة الجوهرية هي أن الفرنسيين لا يختلفون في نظرتهم إلى الجزائري الذي يجب في رأيهم أن يبقى مستواه دون الإنسان الفرنسي، وحتى إذا انعموا عليه بتوفير فرص التعلم والسماح له بالاستفادة منها، فيجب أن يُكيّف هذا التعليم مع أهدافهم، لأن الفرنسيين يريدون من الجزائري أن لا يتجاوز حظه من التعلم بعض المعارف العملية البسيطة، التي تمكنه من ممارسة الأعمال التي تتطلبها خدمة المصالح الفرنسية. يقول أحدهم:« وإذا رفعنا الأهالي إلى مستوانا فسنعمل على طرد أنفسنا من هذه البلاد، ولهذا يجب إبقاؤهم على حالتهم السفلى».[14](حلوش،1999،ص83)

ولم تكتف السلطات الفرنسية بسن القوانين الظالمة والجائرة، بل عمدت إلى محاربة العلماء ورجال الدين، فمنعت أساتذة جمعية العلماء المسلمين من التدريس، وأمرت بإغلاق المدارس العربية الحرة ، ومنعت كل معلم تابع للجمعية من مزاولة التعليم في المدارس، وذلك لأنها رأت أنهم يعيقون تقدمها، وبسط نفوذها في الجزائر بما يقومون به من توعية للشعب الجزائري وإيقاظه من سباته، وتحرير العقول من الجهل والخرافات والأوهام، ولهذا عمدت فرنسا إلى سجنهم ونفيهم، وتشويه صورتهم عند عامة الشعب، ولا شك أن خلو البلاد من العلماء هو قضاء على الدين واللغة على حد سواء، وكان هدفها من وراء إتباع سياسة التجهيل في التعامل مع المواطنين بحرمانهم من نور العلم، ونعمة التعلم، وإبقائهم مهمشين

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

غارقين في وحل الجهل وظلام الأمية، بعيدين عن عالم الفكر والمعرفة، ليسهل ابتلاعهم وإذابتهم في البيئة الفرنسية.

5- موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من السياسة اللغوية الاستعمارية.؟

لقد حاربت جمعية العلماء المسلمين سياسة الإدماج، بغية المحافظة على مقومات الأمة الجزائرية، ذلك أن فرنسا اعتمدت تطبيق سياسة الإدماج، وهي سياسة معادية للثقافة المحلية وللغة العربية، وتهدف من ورائها إلى جعل الفرنسية هي اللغة السائدة، ومن ثمة جعل المجتمع الجزائري مجتمعا فرنسيا لغة ودينا ونظما.[15](سعد الله، 1998،ص179) كما هدفت أيضا إلى منع الجزائريين من المطالبة بالاستقلال والحرية. يقول عبد الحميد بن باديس:« لا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر والمستقبل السعيد، إلا هذا الحبل المتين اللغة العربية، لغة الجنس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة. إن هذا اللسان العربي العزيز الذي خدم الدين وخدم الإنسان، هو الذي نتحدث عن محاسنه منذ زمان، ونعمل لإحيائه منذ سنين فليحقق الله أمانينا».[16](بن باديس،1939،ص28)

أما عن موقف جمعية العلماء المسلمين من قانون الفرنسة قد كان قويا، خاصة وأن الجمعية تفطنت إلى هدف المستعمر الفرنسي المتمثل في فرض لغته على الشعب الجزائري، ومن ثمة فرض ثقافته بالقوة، فعمدت إلى محاربة المستعمر، ووقفت في وجهه متحدية إياها، حاثة ضمير معلمي الفرنسية الأحرار لتوقظهم من غفلتهم يقول بن باديس:« أنتم يا رجال التربية والتعليم أعلم الناس بفضل التربية والتعليم على الأمم، وإذا كان لبعضكم منازع لا دينية في التربية، أو منازع سياسية في لغة التعليم، فلا تنسوا أن في الأمم جانبا وجدانيا لا يمكن انتزاعه، وهو الدين واللغة العربية، التي تعبر عن حقائق ذلك الدين..، أنتم تعلمون كذلك أن الأمة الجزائرية أمة إسلامية الدين، عربية اللسان، يستحيل أن تتخلى عن ذلك الدين، ويستحيل أن تفهم حقائق ذلك الدين إلا باللسان العربي».[17](محمد الحسن، 2010، ص91).

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

أما عن موقفها من سياسة التجنيس الذي سنتها فرنسا رغبة منها في تجنيس الشعب الجزائري العربي المسلم كرها وظلما، بعد إصدارها قانون–السيناتور كونسولت– عام(1865) الذي يعتبر أن أي مسلم جزائري خاضع للقانون الإسلامي بإمكانه أن يتمتع بالحقوق الفرنسية، وتطبق عليه الأحكام السياسية الفرنسية، إذا خرج عن القانون الإسلامي.[18](المرجع نفسه، ص129) ويتضح أن سياسة التجنيس هي تكملة لسياسة الإدماج، فهما وجهان لعملة واحدة، فالتجنيس بالجنسية الفرنسية يعني بالضرورة الاندماج في الكيان الفرنسي، والتخلي عن الهوية العربية الأصيلة وعن اللغة العربية. وفي المقابل عمدت الجمعية على نشر الثقافة الإسلامية بين الجزائريين من خلال بث روح الاعتزاز بالانتماء للإسلام، وللحضارة الإسلامية، ودعت إلى إحياء اللغة العربية التي قررت فرنسا محوها من العقول ومن النفوس، وإلى تعميم استعمالها بين أفراد الشعب الجزائري وفي مختلف المجالات. واستطاعت بفضل جهود المخلصين من أبنائها أن تحافظ على هوية الشعب الجزائري ولغته، التي حاول الاستعمار مسخها وتشويهها والقضاء عليها.

الخاتمة:

حاولت هذه الدراسة عرض مظاهر السياسة اللغوية الفرنسية في الجزائر إبان الاستعمار وذلك خلال فترة تواجده فيها من(1830م) إلى(1962م)، حيث عمد إلى طمس معالم الهوية الوطنية من خلال القضاء على اللغة العربية. وقد انتهت إلى جملة من النتائج أهمها:

– استحالة فصل اللغة عن الهوية، حيث أنه إذا قويت الهوية قويت معها اللغة، وإذا ضعفت الهوية ضعفت اللغة، لأن اللغة هي على الدوام تعبير عن الهوية وانعكاس لها في الواقع.

– إن إدارة الاحتلال الفرنسي الغاشم لم تكتف بشن حرب عسكرية ضد الجزائر فحسب، بل عمدت بكل ما أوتيت من قوة إلى فرض جملة من القوانين الجائرة، رغبة منها في طمس معالم الهوية الوطنية للشعب الجزائري، وذلك بتغيير عقيدته وتغريب لسانه. كان من أخطرها قونين الإدماج والفرنسة والتجنيس.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

– حاربت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بكل شجاعة هذه السياسة، ووقفت لها بالمرصاد فكشفت مخططات الاستعمار الفرنسي، وعملت على نشر الثقافة الإسلامية بين الجزائريين، من خلال بث روح الاعتزاز بالانتماء للإسلام، ودعت إلى إحياء اللغة العربية وذلك عن طريق المحاضرات والندوات والمقالات..،كل ذلك كان عاملا قويا في إفشال الإستراتيجية الاستعمارية.

–إن ما يطرأ على اللغة العربية من تغيرات وتحولات سلبا أو إيجابا، ينعكس بشكل مباشر على هوية الشعب الجزائري برمته، مثلما أن ما يعتري هوية الشعب من تشوه واختلال يظهر على مرآة لغته، لذا فإن أي نزوع لحفظ الهوية وصيانتها دون أساس لغوي لن يتحقق مطلقا وعليه فإن من أهم الأمور التي تتوجب على المثقف الجزائري تعزيز حضوره الفعال، وتثبيت هويته الخاصة به في ساحة المعترك الفكري الحقيقي الذي يعيشه هو لغته الأم.

الهوامش:

1-جون جوزيف، اللغة والهوية، تر:عبد النور خراقي،2007،الكويت،عالم المعرفة الكويت ،ع342، آب/ أغسطس ص135

2-وليد قصاب، شحيد جمال،خطاب الحداثة في الأدب الأصول المرجعية،2005،سوريا، دار الفكر، ص429

3-المرجع نفسه، الصفحة نفسها

4-رمزي بعلبكي،الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر،2014،لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ص24

5-علي عبد الرؤوف علي، الاندماج الاجتماعي بين مأزق الهوية وفخ العولمةتحديات وتحولات عمران المدينة الخليجية المعاصرة، جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي،2014،لبنان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بيروت، ص443

6-محمد عابد الجابري ، العولمة والهوية الثقافية ،1998، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ع 442، فبراير، ص14

7-محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العروبة والإسلام والغرب،1995،لبنان،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت،ع 442، فبراير، ص12

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

8-طوني بنيت، لورانس غروسبيرغ، سيغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع ، تر: سعيد الغانمي ،2016،لبنان، المنظمة العربية للترجمة بيروت، ص703

9-بسام بركة ، اللغة العربية القيمة والهوية ،2002، مجلة العربي،ع 528، نوفمبر، ص86

10-أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدإ والتطبيق،1981، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص155

11- المرجع نفسه، ص83

12- المرجع نفسه، ص83

13- المرجع نفسه، ص83

14-عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية ،1999، الجزائر، شركة دار الأمة، ص115

15-أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،1998، الجزائر، دار الغرب الجزائري ،ج6، ص179

16-عبد الحميد بن باديس، اللغة العربية ،1939، مجلة شهاب ،ع2، ص28

17-محمد الحسن فضلاء، الشذرات من مواقف الإمام عبد الحميد بن باديس2010، الجزائر، دار هومة، ص91

18-المرجع نفسه، ص129

قائمة المراجع

-المراجع باللغة العربية

1-أحمد بن نعمان،(1981)، التعريب بين المبدإ والتطبيق، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

2-رمزي بعلبكي،(2014)،الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت

3-طوني بنيت، لورانس غروسبيرغ، سيغان موريس،(2016)، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي ، لبنان، المنظمة العربية للترجمة بيروت

4-عبد القادر حلوش،(1999)، سياسة فرنسا التعليمية، الجزائر، شركة دار الأمة

5-علي عبد الرؤوف علي،(2014)، الاندماج الاجتماعي بين مأزق الهوية وفخ العولمة،تحديات وتحولات عمران المدينة الخليجية المعاصرة، جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي، لبنان المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بيروت

6-أبو القاسم سعد الله، (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر، دار الغرب الجزائري، ج6.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 146 – 161 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

7-محمد عابد الجابري،(1995)، مسألة الهوية العروبة والإسلام والغرب، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت،ع 442، فبراير
8-محمد الحسن فضلاء،(2010)، الشذرات من مواقف الإمام عبد الحميد بن باديس، الجزائر، دار هومة
9-وليد قصاب، شحيد جمال،(2005)، خطاب الحداثة في الأدب الأصول المرجعية، سوريا، دار الفكر
-المجلات والرسائل الجامعية
10-بسام بركة، (2002) اللغة العربية القيمة والهوية ، مجلة العربي،ع 528، نوفمبر
11-جون جوزيف، (2007)، اللغة والهوية، تر:عبد النور خراقي، الكويت، عالم المعرفة الكويت، ع342،آب.
12-عبد الحميد بن باديس،(1939)، اللغة العربية، مجلة شهاب، ع2.
13-محمد عابد الجابري،(1998)،العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ع442، فبراير.